بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

لقد تبلورت فكرة التأليف في الموضوع، ودراسة الحركة الأدبية الأندلسية التي ما تزال بحاجة ماسة إلى دراسات فى شأنها تسليط ضوء على جوانب مهمة ظلت مهملة، ولم تأخذ حقها في إهتمام المؤلفين ألا وهو موضوع المرأة ، فقد أقبلنا عليه وفي نفسنا شوق لدراسته: واستقر رأينا على موضوع (المرأة في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف).

لقد كان الشعر المعين الأول لدراستنا فرحنا نستشف صورة المرأة في أدق الوثائق وأجملها. ولا نقول أصدقها لأن أجمل الشعر أكذبه.

أما منهج دراستنا فيعتمد تحليل النص وظروفه وتوظيفه لما يخدم الكتاب ويدلل على نتائجه، ولا زلنا مؤمنين بصلاحيّة المنهج الذي يُدرس صورة المرأة في شعر الشعراء في الفصلين الأول والثاني وما عرف عنها وما قالته عن نفسها في الفصلين الثلث والرابع علماً أن الكتاب مقسم على أربعة فصول يتصدره مقدمة وتمهيد وينتهي بقائمة بأسماء أهم المصادر والمراجع المعتمدة.

وتضمن التمهيد أحوال المرأة قبل مجئ الطوائف في عرض سريع لأخبارها وظروفها الإجتماعية والنفسية وتهيماً بأشعارها وثقافتها وخصالها المادية والمعنوية. حرة كانت أم جارية. ودرسنا في الفصل الأول صورة المرأة في الشعر:

صورة الأم وصورة الأخت، وصورة الزوجة، وصورة الإبنة وصورة الحبيبة ، وصورة الجارية.

أما الفصل الثاني فيدرس جمال المرأة وزينتها في الشعر، تناولنا معايير الجمال في تلك الفترة وصوره وهي: الشعر ، الملابس، الخضاب، الطيب، الحلي، وغيرها في الصور الأخرى. وقد كشف لنا هذا الفصل التطور الحضاري للحياة الاجتماعية وأعطى صورة للتراث الأندلسي الأصيل.

وعقدنا الفصل الثالث للتعريف بالشواعر الجواري، والحرائر .

أما الفصل الرابع فتناولنا الأغراض الشعرية التي طرقتها الشاعرة من غزل وفخر ومديح وسخرية وهجاء وشكوى واعتذار وفن آخر الموشحات.

وتضمنت دراسة الخصائص الفنية في شعر النساء – المفردات والتراكيب والمعاني. والخيال. والعاطفة والموسيقى والتناغم الشعري. والحقنا الكتاب بمسرد بأهم المصادر والمراجع المعتمدة. مبتعدين عن الكلام الخارج عن التدقيق والبحث العلمي الصحيح كقولهم قالت إعرابية، أو قال إعرابي في إمرأة ، فقد خشينا التعامل مع هذا النوع في النصوص التي وردت في بطون الكتب. وجاء جل اعتمادنا في أخبار الجواري على كتاب طوق الحماقة لابن حزم الظاهري المتوفى سنة (٤٥٦هـ). لقد ألجأتنا الضرورة اعتماد بعض الشعراء الذين سلخوا أعواماً من أعمارهم في عصر المرابطين كالحكيم أبي الصلت أمية المتوفي سنة (٥٢٩هـ) . لقد عاش هذا الشاعر مدة شبابه في أشبيلية معاصراً للمعتمد بن عباد المتوفي سنة (٤٨٨هـ) وعددنا عصر هؤلاء الشعراء إمتداداً لعصر الطوائف ولأيام ملوكهم المتساقطين ، ولما كانت هذه الدراسة أول بحث منهجي عن المرأة في الأندلس وللأمانة العلمية ولقصور المكتبة الأندلسية عنها فقد قرأنا الدراسات المشرقية عن المرأة معترفين بفضلها كدراسة الدكتورة واجدة الأطرقي (المرأة في الأدب العباسي)

ودراسة الدكتور الحوفي (المرأة في الشعر الجاهلي) وأطلعنا على كتاب (الشعر النسوى في الأندلس) لمحمد منتصر الريسوني.

والمصاعب كثيرة ولكي لا نطيل على القارئ الكريم، ولا يخفى على ذوي الكفاءة والاختصاص أن البت أو الكتابة في مثل هذه المواضيع ورصد الأشعار ليست مهمة سهلة فكنّا ندُيم النظر إلى النص ونقرأ كل ما جاء في الديوان أكثر من مرة لنشخص النص الموثق للمرأة، ناهيك عن جهد السؤال وطرق الأبواب وسهر الليالي الطوال. راجين أن نكون قد وفقنا فقد بذلنا كل ما من وسعنا في جهد لإخراجه بهذه الصورة، ونقدم خالص الامتنان والعرفان بالجميل إلى كلٍّ من مدَّ يد العون وأخص منهم أخي وشقيقي الدكتور أكرم سلمان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين في الأول والآخر.

المؤلفة

obeikandl.com

obeikandl.com

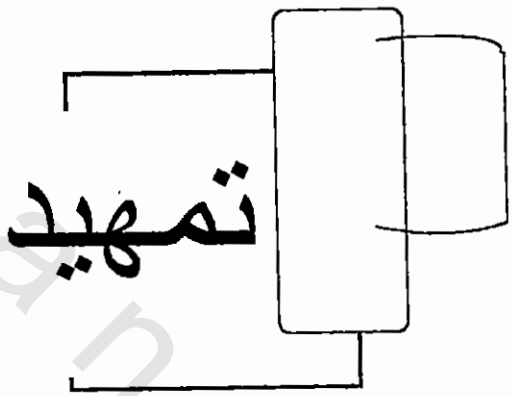

obeikandl.com

obeikandl.com

المرأة قبل عصر الطوائف:-

تميزت المرأةُ في الأندلس عن اختها في المجتمعات الأخرى ولاسيما في المجتمع الإسلامي في آسيا وأفريقيا بميزاتٍ ظاهرةٍ بسببِ طبيعةِ تكوينها، والظروف التاريخية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية التي أحاطت بها.

إنّ المرأةَ التي عاشت على أرض الفردوس المفقود، كان مجتمعها (مزيجاً خليطاً من عناصرَ شتى يضافُ إليهم المسلمونَ من قيسيينَ ويَمنيينَ وبربر)[1] وقد أجمعت النصوص كلها على أنّ الأقوام التي سكنت الأندلس (كانت من القوط)[2] وتوالت عليها أقوام متنوعة ومختلفة[3] إلاّ أنّ الفاتحينَ بقيادةِ طارق بن زياد، سنة ٩٢-٩٣هـ، والجيشُ الذي لَحِقَ بهِ كانوا من الساميين القيسيين،[4] والمسلمون الذين

---

(١) أحمد بن محمد المقّري التلمساني : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب: جـ١، ص١٢٦. تحقيق د. احسان عباس ، مطبعة دار صادر ، بيروت سنة ١٩٦٨.

(٢) د.حسين مؤنس: فجر الأندلس : ص١٦، مطبعة القاهرة سنة ١٩٥٩. القوط : قبائل جرمانية متبدية من وسط أوربا زحفت على أسبانيا ولا تملك من الأسس الاجتماعية ما يعينها على تنظيم بلد واسع كاسبانيا (وكانت طليطلة عاصمة القوط القديمة). أنظر إ. ليفي بروفنسال، الأسلام في المغرب والأندلس: ص١٢٤ ترجمة د. محمود عبد العزيز سالم. والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي : مراجعة د. لطفي عبد البديع ، نشر / مكتبة نهضة مصر ومطبعتها. القاهرة.

(٣) منهم الألبيريون والسليتون والفينقيون واليونان والقرطا جينبون ثم الرومان والفندال) . أنظر د. عبد العزيز سالم: دائرة معارف الشعب: جـ٢ ص ٤-٦ مطابع الشعب سنة ١٩٦٠. د. عمر الدقاق : ملامح الشعر الأندلسى: ص٣٣- ١٩٥٧ ، د. حكمة الألوسي : فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة: ص٨-١٣ . الطبعة الثانية.

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب :جـ٢ ص٣١، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال . وأخبار مجموعة ص١٥. طـ١٨٦٧- مدريد. وانظر ادوارد فون زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ: جـ١ص٨٥. ترجمة د. سيدة إسماعيل وحافظ أحمد. مطبعة جامعة تواد الأول -١٩٥١.

دخلوا البلادَ عرباً وبربراً واستقروا، ولجأ كلُّ فريق إلى ما يناسب مزاجه في بعض النواحي، وانفردوا بأنفسهم في نواحٍ أخرى. وتحولوا بمرور الزمن إلى أندلسيين بعد أن اختلطوا وارتبطوا معهم بروابط الزواج.

ولما استقرت قدمهم هناك نزح إليها العربُ من كلِّ بَطنٍ وقبيلة (من عدنانيين وقحطانيين) وغيرهم. علاوة على الموالي الذين لَعبت جماعتهم دوراً هاماً في توجيه الحوادث، ومعظمهم كانوا من أهل الغرب الداخلين في ولاء بني أمية وأن أقلهم كان من موالي المشرق ... والعنصر الآخر الصقالبة. وهم الأرقاء الذين يجلبون من الأمم المسيحية صغاراً، ثُمَّ يربون، تربيةً إسلامية، ويستخدمونَ في قصورِ الأمراءِ والخلفاءِ. وأصلهم كان من الأسرى الذين يؤتي بهم من الشمال [1] وأفعالُ نسائهم مثل أفعال الهنود. ولهم سياسات، منها : (إذا تَعرضَ أحدٌ بجاريةِ غيرهِ أو ولَدهِ أو دابّته، أو تعدّى بأيّ شيء مِن التعدي يُؤخذ من المتعدى جملةَ من المال، فإنْ لَمْ يَكنْ له أهلُ ولا أولادٌ، بيع هو، فلا يزالُ عبداً يَخدُم من يكونَ عِندَهُ حتى يموت) . وينقل لنا المقّري، المتوفي (١٠٤١هـ) صورةً واضحةً عن إستخدامِ الصقّالية من الفتيان في القصور [2] . وهناكَ طبقةُ العبيد والمرتزقة. وأطلقَ المسلمونَ على أهل الأندلس اسم العجم أو عَجم الذّمة. فلما تَمكنَ سلطانهم، ومن كانَ لهم عهد منهم سموا المعاهدون.

ومن ثَمَّ أُطلقَ على من أسلمَ من الإسبان لفظة المسالمة، جمع مسالم. وكان هذان الفريقان : أهل الذمة والمسالمة. وأبناؤهم من المولدين يُكَونون معظم سكان الأندلس.

---

(1) أحمد مختار العبادي: الصقالبة في أسبانيا: ص٨ ط. مدريد. ١٩٥٣.

(2) أحمد بن محمد المقري التلمساني: أزهار الرياض :جـ٢ ص٢٩٧ تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٢م.

وقد وردت أبيات في قلائد العقيان تُشيرُ إلى هذا التلونِ[1] . إلاّ أنّ الإمتـزاج السريع، وإنصهار تلك العناصر في بوتقةٍ واحدةٍ، تكونت منه الشخصية الأندلسية[2] .

لقد بَدأتْ حركة التزاوج مع المسيحيات بدءاً من قائدهم، عبـد العزيـز بـن موسى بن نصير ، الذي إرتبط بينت ملك القوط (أيلة) [3] التي كُنيت بـ (أمّ عاصـم) أرملة لذريق[4] ... ومن هنا يَبدأ دور المرأةِ. فهي إنحدرت مـن سـلالاتٍ متباينـةِ الحضارةِ مصبوغة بصبغةِ رومانية حاملة للديانةِ المسيحيةِ، نجدها قد إرتبطت برجلٍ عربيٍ مسلم. بعد أن عرفنا أن أولَ من سكن الأندلس، قومٌ على ديـن الـتمجس[5]، وكانت النصرنيةُ هي الديانة السائدة عند دخولِ العرب الفاتحين[6] . وبعدَ قرنيْن مـن الزمان نَرى أن الحضارةَ السائدةَ هي الحضارةُ العربيةُ والدين السـائد هـو الـدين الإسلامي.

وكان التسامح ، والتزاوج، والمصالح، والحرية من أكبر الأسباب في سرعة انتشار الدين الإسلامي في تلكَ الديار، وتعايشهم في إلفة وإنسجام ووئام[7]

إن الإسلام الذي سمَح للرجلِ الزواج بأربع سَـمَحَ للمـرأةِ أن تَسْـتَأثَر فـي بزوجها وأن تطلب التفريق إذا ما أثبت (إنه أساءَ معاملتَهـا أو قَصّـرَ بواجبهـا) [8] ونَظْرَتُهُ الإنسانية إلى المرأة في حُرمة بعض النساء علـى الرجـال. قـال تعـالى

---

(1) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان في محاسن الأعيان: ص١٢٣ – ١٢٥، مطبعة التقدم العميـة . مصر ١٩٦٤.

(2) د. حسين مؤنس : فجر الأندلس: ص٤٢٢.

(3) داشرة معارف الشعب :جـ٢ص٦.

(4) نفح الطيب : جـ١ص٢٨١.

(5) نفح الطيب : جـ١ ص٣٠، تحقيق محمد محي الدين .

(6) فجر الأندلس : ص٤٢٤.

(7) محمد مجيد رزيق السعيد : الشعر في ظل بني عياد ص٦٥ . ط ٦٩ القاهرة.

(8) د. أحمد محمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي: ص٥٤١ –٤٥٩.

((حُرِّمَتْ عليكُم أُمهاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكم وَعَماتُكُم وَبَناتُ الأخِ وبَناتُ الأخ وبنَـاتُ الأُخْـتِ وأُمّهاتُكُم اللاتي أرْضَعنكُم)) [1] ... الخ، فَتَجَنّب الرجلِ لنكاحِ الأمّ والأُخت والإبنـة . أعطى لَها الدَعة فتمتعت بالراحة النفسيّة[2]. وبَعدله وسماحته وسُنَنِ رسوله صلى الله عليه وسلم ونظرته إلى العَلاقة المُقَدسة بين الرّجلِ والمرأة، وبفضلِ هـذا التسـامح عاشت المستعرِبَاتُ جنباً إلى جَنبٍ مع المسلماتِ واحتفظن بعاداتهنَ ولغتهن، ولكن لم يَخْلوَنَ من التأثر الإسلامي في تَخَلقِهِنَ بأخلاقِهِنَ[3]. فكانت بلاشك الوسيلة الأساسـية المباشرة في نشرِ الحَضارةِ في شبه الجزيرة الألبيرية . لأنها أول من تَأثرَ بالحضارةِ العربيةِ وتَبني الفلسفة الإسلامية. على الرغم من قلتهم إلاّ أنّ الفاتحين جاءوا بمدنيـة تُعَدُّ من أرفع المدَنِيات.

ولكن نجد أنفسنا في حَيرة إمامَ دم الأجيالِ الثانية، أنعدهنّ عربيـاتِ نقيـاتِ الدم؟ لا يمكنُ أنْ يَكنَّ عربياتٍ من ناحيةِ الدَّمِ، ربما جازَ أنْ نَعدهنَ مُولدات، وإن كنّا نذهب مع ما ذَهبَ إليهِ الدكتور عبد الكريم خَليفة بأن نظرية العرقِ والـدمِ (نظريـة فاسدة وهي تنافي كلَّ التنافس مبادئَ الإسلام السامية) [4].

وربما يفقد الإرتباط بالأجنبياتِ الأصالةِ في الأمة، ولكن لا يفقـدها الطاقـة الأدبية ذلك لأن النهضَة لا تتأثر بالإنقطاع إلى النَفس والعكوف عليها، وإنمـا تكـون بالتعرفِ إلى الشعوب الأجنبيةِ. والإتصالُ بها والأخذُ منها والعطاءِ لها. وقـد تكـون

---

(1) القرآن الكريم : سورة النساء : الآية ٢٣. وفي قراءة حفص ٢٥.

(2) مونيك بيتر : المرأة عبر العصور: ص٢٢٤ ط. بيروت ١٩٧٩. وأنظر سلمى الحفـار: فـي ظلال الأندلس: ص٧١ -١٠٦.

(3) خالد الصوفي : تاريخ العرب في أسبانيا : ص٩٣ط-١٠ . منشورات مكتبة دار الشرق. حلب . عبد السميع عفش.

* البيربا (أسبانيا والبرتغال).

(4) د. عبد الكريم خليفة : ابن حزم الأندلسي حياتهُ وعصره وأدبه: ص١٥ مطبعة دار العربية.

آثار الإستعداد الوراثي واضحة في الجيل الثاني من إختلاط السمرة العربية بالبياض الأوربي[1]. والإستعداد الفطري للملكة الشعرية، جعلها موطن فتنة للرجال.

ومن خلال بحثنا عن أصلها يمكن القول ... بأن المرأة التي عاشتْ في كَنَف المجتمع الأندلسي أصبحت بعيدة عن العصبيَة القبليَة، من هذا المنطلق صارتْ تختلف عن أختها العربية المشرقية.

لقد أثّرَ الإسلامُ فيها كثيراً، ومن مَظاهرِ حُسنِ إسلامها وتَمسكها به، حِرصُها على تأديةِ فرائضه بأوقاتِها في الأماكنِ المخصصةِ للعبادة، مما دعا الأمير[2] عبد الرحمن بن معاوية المتوفى (١٧٢هـ) إلى بناء جَامع عام (١٦٩هـ) والحقَ به إبن هِشام صومعةً) وبني آخر المسجد (سقائفَ لصلاةِ النساء)[3].

لقد فسحَت الحياةُ المتطورة أمامَ الأندلسيةِ مجالاً للنشاطِ المهنيِ بَعْدَ أن كانت عالة على الرجلِ عند الأمم الأخرى. وبرزت من بينهن عالماتٍ بصناعةِ الطبِّ والمداواة، ولهن خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء[4]. علاوةً على مهنةِ "القابلة" المختصةِ بالنساءِ، وهي صناعةٌ يعرف بها العملُ في إستخراجِ المولود الآدمي من

---

(1) محمد جميل بيهم : المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص٢٤٠ . دار النشر للجامعيين.

(2) عبد الرحمن بن معاوية : أول أمراء بني أمية بالأندلس يكني أبا المطرف ولد بالشام سنة (١١٣هـ) وأمه أم ولد أسمها راح ، دخل الأندلس سنة ١٣٨هـ وكان من أهل العلم، وله أدب وشعر، أنظر: أحمد بن عميرة الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : ص١٥ . ط. مدريد – ١٨٨٤م. نفح الطيب : جـ١ ص ٣١٢ – ٣١٣.

(3) ابن عذاري : البيان المُغرب في أخبار مُلوكِ الأندلس والمغْرِب : جـ٢ ص٢٣٩ ط. بيروت – ١٩٤٨. دار الكتاب اللبناني.

(4) عباس بن إبراهيم المراكشي : الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الإعلام: جـ٣ص٥٤ – ط. الأولى – ١٩٣٦. فاس.

بطن أمه[1]. ومنهنّ من كانت عَطارةً[2]. أو حارسة بستانٍ[3]. أو عاملة في دورِ الخراجِ وكن يسمينَ بالخَراجيات[4].

لقد أثبَتْ المرأةُ جدارةً في مواجهةِ قَسوةِ الحياةِ وشَظف العيش. ومنهن من باعَتْ اللَبنَ[5] ، لتعيل أولادها، ومنهن من كانت بائعة للجبن[6]، وغاسلة للملابس، فقد رُوىَ أنّ إمرأة كانت مهنتها غسلَ الملابسَ بعد أنْ غَسَلَتْها، أَتَتْ بها فدقّتها بحذائين بين حَجَرَيْن وهي تُنشدّ [الرجز][7] : -

أعطِ الأجيرَ أَجْرَهُ وَيَنْصَرِفْ إنّ الأَجِيْرَ بالهَوانِ مُعْتَرِف

فَحَفِظَ صاحبُ المَلابس عَنها الشعر، وزَاد أُجرَتها. وشَاعتْ مهنةُ الغَزلِ عندهن. واتخذَ المِغْزَلُ هوايةً فقد قِيلَ (نِعْمَ اللّهوِ للحُرةِ المِغْزَلُ)[8].

ونالت المرأةُ الأندلسية قِسْطاً وَفيراً من العُلومِ والثَقافةِ واستَطاعَتْ أنْ تَمثلَ صورة الأندلس في ثَقافتها العربيةِ الإسلاميةِ.

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: جـ١ ص٧٣٥. ط٢. دار الكتاب البناني.

(2) البيان المغرب : جـ٢ص١٨.

(3) لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة: جـ٢ ص١٦٠ – ١٦٢ ط. القاهرة – ١٩٧٤. تحقيق محمد عبد الله عنان.

(4) الذخيرة: ق١ م١ ص٢٤٢. ط -٧٩ – دار الثقافة – بيروت، وجاء في المصدر نفسه: م٢ ق٣ ص٦٠٦ وكانت ربة دير.

(5) نفح الطيب : جـ١ ص٤١٥.

(6) الإحاطة في أخبار غرناطة : جـ٢ ص١٥٨.

(7) الحميدي: جذوة المقتبس : ص٣٩٢ تحقيق إبراهيم الأبياري ط١٩٨٣. بيروت.

(8) المرلف مجهول : التحفة البهية والطرفة الشهية ص١٥، مطبعة الجوائب قسطنطينة – ١٣٠٢ هـ، وانظر ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس: ص٥٥ مراجعة د. عبد القادر القط.

فوجَدنا من بَينهنَ من بَرَعتْ برواية الحديث كـ (غالمية بنت محمد المعلمة الأندلسية) [1]. وبَلغتْ المرأةُ من الرُقيّ والثَقافة بحيث أصبَحَتْ فَقيهة ورعة، فاضلة عالمة كـ(فاطمة بنت يحي بن يوسف) [2] التي توفيت (٣١٩هـ).

وأصبحت لتقدمها (كاتبة مُزنَة) [3] المتوفاة (٣٥٨هـ) وكانت حاذقة في الكتابة فاتخذها الناصر[4] كاتبةً لَهُ. ولُبنى[5] كاتبة الحَكم بن عبد الرحمن[6] التي أُشتهرتْ بجمالِ خَطها وحُسنِ نَظمها للشعرِ وإتقانها للنَحو والحساب والعَروض. توفيتْ (٣٩٤هـ) وقيلَ (٣٧٤هـ). ومنُهنَّ من إمتهنْت الغناءَ ، وظَهرتْ بينهنَ العَوّادات والزَامرات من الجواري الممتهنات[7]. وكانت من بَينهنَ الراقصة المُبدعة، والموسيقية العازفة. وبرعت القيانُ في هذا الجانب. منهنَّ الجارية العجفاء . وهي من الجواري الوافدات. أُستقدمت إلى الأندلسُ بَعدَ إن كانت جاريةَ (هارون الرشيد) وقد لَفتَتْ الأنظار إليها، بِجودةِ غنائها، وحُسنِ أدائها، وجَمال صَوتِها. وبَراعتِها بالضربِ.

---

(١) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال : الصلة : جـ٢ ص٦٥٣ ترجمة ١٥٢٦. نشر عزت العطار الحسيني ١٩٥٥. بغية الملتمس : ص٥٣١ ترجمة ١٥٩١.

(٢) بغية الملتمس : ص٥٣١ ترجمة ١٥٩٣.

(٣) الصلة جـ٢ ص٦٥٤ ترجمة. ١٥٣ وبغية الملتمس: ص٥٣٠ -٥٣١ ترجمة ١٥٩٠.

(٤) الناصر: عبد الرحمن الناصر: تلقب بالناصر لدين الله وكان يكني أبا المُطرف، وأمُه أمّ ولَدأسمها مُزنة. ولم يبلغْ أحد من بَني أمية في الولاية مدتهِ فيها. توفي سنة (٣٥٠هـ) أنظر بغية الملتمس :ص١٧.

(٥) بغية الملتمس : ص٥٣٠ ترجمة ١٥٨٩. واظر عمر رَضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: جـ ٤ ص٢٨٧. ط ١٩٥٩.

(٦) الحَكَمْ بن عبد الرحمن وتلقَب بالمستنصر بالله، يُكني أبا العاص. أمةُ أم ولد اسمها مَرجان، وكان حسنْ السيرةِ مُحباً للعلوم جِماعاً للكتُبِ. انظر بغية الملتمس :ص١٨. المعجب: ص٥٩ . وانظر ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس: ص٧.

(٧) إبن عُذاري المراكش : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: جـ٣ ص٥٠ ط. بيروت.

على الرغم من كَوْنها عَجفاء: كَلفاء وكأن وِركيها في خَيْط من ضَعْفها. بعيدة عن الأناقة فكانت ترتدي ملابسَ خَشَنةً. ومن أغانيها: [الكامل]

بَرِحَ الخَفاءُ فأيّما بكَ تَكتَمُ ... ولَسَوْفَ يُظهِرُ ما تُسرّ فَيُعلَمُ[1]

مما تَضمَنَ من عزيزٍ قَلبُهُ ... يا قَلبُ أنّكَ بالحسان لَمُغرَمُ

فَتَذوقُ لَذّةَ عيشنا ونَعيمَةُ ... وَتكونَ إخواناً فَماذا تَنقَمُ

فتتاول سامعُها ربعةً في البيتِ فيها قوارير ودهن، فَوَضعَها على رأسه وصَاحَ صاحبُ الجارية وكانَ الثغَ: قَوانيني، قَوانيني، يَعني قَواريري، فاصطَكتَ القواريرَ وتَكسّرَتْ، وسالَ الدهنُ على رأسهِ وصَدرهِ بَعدَ أنْ سَمعاها تغني: [المنسرح]

يا طُولَ لَيلي أُعالِجُ السّقَما ... أُدخِلَ كلّ الأحبةِ الحَرَمَا

ما كنتُ أخشى فِراقكم أبداً ... فاليومُ أمسى فِراقكُم عَزَما

لَقَد حُمِلتُ هذهِ الجاريةُ إلى عبِ الرحمَن بن معاوية المتوفي (١٧٢هـ).

ومن الكاملات الخصال الحاذقات في الغناء (فُضُلُ المَدنية) [2] وكانت لإحدى بنات هارون الرشيد أيضاً. نَشَأت وتَعلمتْ في بَغدادَ، ودُرِّبَتْ في المدينةِ ثُمّ أشتريت للأمير عبد الرحمن، مع صاحبتها (علم)[3] ، وإلى صواحبها نُسِبَتْ دارُ المَدَنيات، وكان الأمير يؤثرهنّ لجودةِ غنائهنَ ورقّتهنَ وظرفِهنَ وأدبِهنَ.

---

(1) انظر نفح الطيب : جـ٤ ص١٣٧ و١٣٨ و ١٣٩. زينب فواز العاملي: الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور: ص٣٣٠ – ٣٣١. طـ. الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق – مصر سنة ١٣١٢ هـ. أعلام النساء : جـ٣ ص٢٥٥ –٢٥٦.

(2) نفح الطيب : جـ٤ ص١٣٦. زينب فواز: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور : ص٤٣٢. إعلام النساء : جـ٤ ص١٧٧.

(3) المصادر السابقة نفسها مع الصفحات.

وثالثتهن (قَلَمْ) [1]. كانت رومية الأصلِ من سبي (البَشْكَنَش) وحُملَتْ صبية إلى المشرق وتَعلمَتْ الغناء ، في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، فحَذَقَتْهُ وكانت عالمة بضروبِ الآدابِ حافظة للأخبارِ والاشعارِ عن ظَهرِ قَلبْ. ومن الجواري الوافدات (قَمَرْ البغدادية)[2] جمعت بين فَصاحةِ البيان وصنعَةِ الألحان جُلِبَتْ من بغدادَ وكانت على مسحةٍ عاليةٍ من الجَمال ، وقد اعتَمَدَتْ قمرُ بناءَ الأدب بالأندلس، قالت تتشوق إلى بغداد، وتتغنى بمحاسنها وحسانها. وكان لها براعة نادرة في الغناء والتلحين حنت لموطنها فغنت: [الكامل]

آها على بغدادها وعراقِها ... وظبائها والسحرُ في أحداقِها
ومَجَالِها عندَ الفُراتِ بأوجهِ ... تَبْدو أهِلَّتُها عَلى أطْواقِها
مُتَبخترات في النَعيم كأنما ... خُلُقَ الهوى العُذري من أخلاقِها
نَفْسي الفِداءُ لها فأيّ محاسنٍ ... في الدَهرِ تَشرقُ من سَنا إشراقِها

وقد مَدَحَتْ مَولاها صاحبُ أشبيليةَ حين قالت: [الكامل]

مَا في المَغارب من كَريم يُرتَجي ... إلاّ حَليفُ الجودِ إبراهيمُ
إني حَلَلْتُ لَدَيهِ مَنزلَ نعمةٍ ... كلُّ المنازلِ ما عداهُ ذميمُ

لقد بَقِيَتْ عنده في عزّ وإقبالٍ وحَظِيَتْ ، لِحُسنِ صَوتِها وجَمالِها ونَسَبِها إلى أن ماتت فأسفَ عليها أسفاً شديداً. قامت المرأةُ بدورِ الغناءِ أكثرَ من الرَجلِ، ولا

---

(1) نفح الطيب : جـ٤ ص١٣٦ – ١٣٧. إعلام النساء : جـ٤ ص٢١٩. وانظر هناء دويدري: ثقافة المرأة الأندلسية : ص٢٢. أطروحة ماجستير باللغة الأسبانية – على الآلة الكاتبة – مدريد ١٩٦٢.

(2) تعريف حسين مؤنس البيان المغرب : جـ٢ ص١٢٨. نفح الطيب:جـ٤ ص١٣٧ الدر المنثور، ص٤٥٢--٤٥٣ .* البشكنش: قوم من أعداء لذريق . غزاهم لذريق ثم ابن نصير وأشهر ملوكهم تُدمير . أنظر ابن القوطية القرطبي: تاريخ افتتاح الأندلس: ص١٣٧ –١٤٨. تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين ١٩٥٨.

ننسى دور المغني[1] زرياب المتوفي (٢٤٣هـ) البغدادي الذي وفد إلى الأندلس وكانت له فتاتان، (غُزلان)، و(هنيدة) [2] ومن شغفه بالغناء كان يأخذ عُودهُ ويطارحُهما لَيلَته حتى تحفظا له، ويكتبُ الشعر ثم يَعودُ إلى نَومه. أمّا جاريته (مُنْعة) [3] فقد أدَّبَها وَعلَّمها أحْسَن أغانيه وشَبتْ عِندهُ وكانت رائعة الجمال. وقد أُعجبَ بها الأميرُ عبد الرحمن[4] بن الحكم المتوفي (٢٣٨هـ) وأبدت له الرغبة حين غنت:[المجتث]

يا مَنْ يُغطي هَواهُ ... مَنْ ذَا يُغطي النَهارا
قد كُنتُ أملِكُ قلبي ... حتى عَلِقتُ فطَارا

---

(١) زرياب : علي بن نافع أبو الحسن شيخ الغناء بالأندلس – وفَدَ عليها في ولاية عبد الرحمن بن الحكم عام (٢٠٦هـ) وقد اجتهد زرياب في تكوين مدرسة موسيقية مستعيناً بأبنائه وجواريه .. أنظر:
النفح : جـ١ ص٣٢٢ وجـ٣ ص١٢٩ – ١٣١. جـ٤ ص١٢٧. أغناطيوس كرانشكوفسكي، الشعر العربي في الأندلس : ص٢٥٠. ترجمة د. محمد منير . تقديم أحمد هيكل . عالم الكتب القاهرة. وأنظر . د. محسن جمال الدين : الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العراقية: ص١٥٢ – مجلة كلية الأداب جامعة بغداد / عدد ١٩٦٨/١١. وانظر بحثه في مجلة المورد (العلاقات الثقافية بين الأندلس والبلاد العربية) ص٣٩٥ -٣٩٦. م/ ٨. لسنة / ١٩٧٩. وانظر د. محمد رضوان الداية تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: جـ٤ ص١٢٣. طـ الأولى – ١٩٦٨.

(٢) د. عبد الرحمن الحجي: تاريخ الموسيقى الأندلسية: ص٣٤ طـ ١ – ١٩٦٩ دار الإرشاد للطباعة والنشر.

(٣) نفح الطيب : جـ٤ ص١٢٧. تاريخ الموسيقى الأندلسية ص٣٤.

(٤) الأمير عبد الرحمن الأوسط: عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، يكني أبا المطرف أمه أم ولَدَ اسمها (حلاوة)، انظر بغية المتلمس: ص١٦ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٨ تحقيق محمد سعيد العريان. طـ القاهرة– ١٩٦٣م.

يـــا وَيلتـــا .. أتُـــراهُ لـــي كـــانَ . أو مسُـــتَعاراً
يـــا بـــأبيْ قَرَشـــي خَلَعْـــتُ فيـــهِ العِـــذارا

فلما إنكشَف لزرياب أمرُها أهدَاها[1] إليهِ . فَحَظِيتْ عِندهُ، وقد تَمَتَّعت جواري زِرياب بالإستحواذ على الأموال التي كانت تَأتيهِ من الغِناء ، من ذلـك ، الثلاثـة[2] آلاف دينار التي نَثَرهَا عليهنَ.

ولم يقتصرَ الغناءُ على الجواري بل شَمَلَ الحرائر فقد عَلَّـمَ زريـابُ إبنيتـه الغناء (علّيه وحمدونة) . وكانت الأخيرة متقدمة[3] على أُختِها فيه. وقد صارتا فيمـا بعد مضرباً للأمثالِ في إتقانِ الصَنعةِ والغناء من ذلك قول زيـادة[4] الله بـن علـي الطبني المتوفى (٣٩٤هـ):[البسيط]

أدْنَتْ إليَّ صَباباتِي مُغـرِدةً أذكى الجوى بين أضلاعي تَرنَمُها
كأنما مَكَثَتْ في عُشِها زمناً عُليَّـة بنـتَ زِريـاب تُعَلِمُهـا

ولكِنْ طالَ عُمر (عُلَيّة) بعدَ إختها حَمْدُونة ولم يَبقَ من أهلِ بَيتها غيرها لـذا أصبَحتْ مرجِعاً لمتعلمي الغناء وذَاع صِيتُها. ومن الجواري اللائي أخذن عن زرياب

---

(1) النفح : جـ٤ ص١٢٧.

(2) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب : جـ١ ص٥١. تحقيق د. شوقي ضيف. طـ٢ – دار المعارف مصر ١٩٦٤.

(3) اعلام النساء : جـ٣ ص٣٣٤.

(4) الذخيرة : م١ ق١ ص٥٣٥ – ٥٣٨.

الغناء (مصابيح) [1] واشتهرت بطيبةِ قَلبِها ونُبلها وإحسانها وجودةِ غنائها. وقيل هي جاريةُ عمر بن قلهيل[2].

وللخلفاءِ الأندلسيينَ مواقف إيجابية من الجواري وكُنَ يُقَدمنَ هدايا للخلفاء ويتعرضنَ إلى ما يتَعرضْ له أسيادهن من مَخاطِرَ[3] . فقد قُدِّمَتْ ثلاثَ جواري في ليلةٍ واحدةٍ للمنصور بن أبي عامر المتوفي (٣٩٢هـ) [4] .. وتقلّدن ثمين الحُليَ ونفيسَ الذررَ كـ(جاريةِ هشام بن عبد الرحمن، التي قَطَعَ عِقْدَها، البالغ ثمنه ثلاثة آلاف دينار[5] ، بعد أنْ مدّ يَدَهُ وكانت خلفَ الستار.

وبرزت في تاريخ الأندلس كثير من الجواري اللّواتي تبوأن مكانة سياسية واجتماعية مرموقة منهن:-

جواري عبد الرحمن الأوسط المتوفي (٢٣٨هـ) وعلى رأسهن (طروب) [6] لقد أبدى هذا الأمير إهتماماً واضحاً بجواريهِ. وطروب هذه ملكت أسباب قياده، علاوة على إمتلاكها وسائل الجمال فكانت ذاتُ سُلطانٍ ونُفوذٍ في الدولة لِتُبرِمَ الأمورَ فلا يُرَدُ لَها في ما تَبْرمه. أحبَها وأولعَ بها ثم أعتَقها وتَزوجها وكانَ كالخاتمِ في إصبعِها. وكانَ لا يَصبرُ على بُعدِها ، وذات يومٍ أغضبَها فَهَجَرَتهُ، وحاولَ عبثاً إرضاءها وتَوَسطَ الكثيرُ للصلحِ فاغلَقَتْ باب مجلسها في وجوههم ، واستَأذَنُوهُ في

---

(1) نفح الطيب : جـ٤ ص١٢٧. ثقافة المرأة الأندلسية: ص٢٧.

(2) ابن دحيّة الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب: ص١٥٢ تحقيق إبراهيم الأبياري. د. حامد عبد المجيد. د. أحمد أحمد بدوي – دار العلم للملايين – بيروت–١٩٥٥. إعلام النساء : جـ٥ ص٥٧ –٥٨.

(3) أخبار مجموعة في فتح الأندلس : ص٩٢ –٩٣.

(4) المعجب : ص٧٢. النفح : جـ ١ ص٣٧٧.

(5) النفح : جـ١ ص٣١٥.

(6) المغرب: جـ١ ص٥١. النفح :جـ١ ص٣٢٧ – ٣٢٨ – ٣٣٦. إعلام النساء: جـ١ ص٣٦٧.

كَسر الباب فَنهاهم وأمَرهُمْ بسدِ الباب عَلَيها من خارجه بِبُدرْ الدراهم، ففَعلُوا وبَنَوا عليها بالبُدرِ وأقبلَ حتى وقف بالبابِ وكلَمها مسترضياً راغباً في المراجعةِ على أنَّ لها جميع ما سُدَّ به الباب. فأجابت وفتحت الباب واستقبلته بالعناق الحار وانكَبَتْ على قَدَمِه تُقَبلّها بعد أن حازَتْ على المال. فكانت تطمح أنْ يكون إبنها (عبد الله) وليّاً للعهد بدلاً من الوريث الشرعي الذي (هو إبن الزوجة الثانية) . ولكن خابت آمالها بعد وفاة الأمير وفشلت كل دسائسها. فقد تَقَلدَ الحُكمْ الأمير محمد بن عبد الرحمن المتوفي (٢٧٣هـ) [١] . وكثيراً ما كان عبد الرحمن يتشوق إلى طروب في غزواتهِ وفي إحداها كتبَ إليها أبيات منها[٢] :[المتقارب]

عَداني عَنكِ مزارُ العِدا ... وقودي إليهُم سِهاماً مُصيباً [٣]
فكم قد تخطيّتُ من سَبْسبٍ ... ولاقيتُ بعد دروبٍ دروباً

ومثله قوله فيها[٤] : [المتقارب]

إذا ما بَدَتْ لي شُمس النها ... ر طالعة ذكرتني طروباً
أنا ابنُ الميامين مَنْ غالبٍ ... أشَبُّ حروباً وأُطفي حروباً

وله أيضاً [٥]: [مجزوء الرجز]

شَاقَكَ في قُرطبةٍ ... في الليلِ لم يدربه الداري

---

(١) بغية الملتمس : ص١٦. الأمير محمد بن عبد الرحمن : يكني أبا عبده أمه أم ولد. توفي (٢٧٣هـ) كان محباً للعلم مؤثراً للحديث.

(٢) النفح : جـ ١ ص٣٢٧.

(٣) السبسب : الصحراء. الدروب: جمع درب وهو الطريق إلى بلاد الروم.

(٤) النفح : جـ١ ص٣٣٦.

(٥) إعلام النساء : جـ١ ص٣٦٧.

لقد أغدقَ عليها العطاء، فأهداها حُلياً قيمتها مائة ألف دينار فقيل له: إنّ مثْـل هذا لا ينبغي أن يَخرجَ من خزانةِ الملك، فقال : (إن لابسَهُ أنفسٌ منه خَطرا، وأرفـعُ قدراً وأكرمُ جوهراً، وأشرَفُ عُنصراً) [1] .. (ولئن راقَ من هذه الحصـباءِ منظرهـا ورُصِفَ في النفس جَوهَرها، فلقد بَرأَ اللهُ من خَلقه جوهراً يغُشي الأبصـار ويـذهب بالألباب.. وهلَ على وجهِ الأرض من زبرجدها وشريف جوهرها أقرّ لعين وأجمُـع لزين من وجه أكملَ اللهُ فيهِ الحُسن ونضرته والقى عليه الجمال بهجتهُ [2]

يَدُلُ النَّصَ بوضوحٍ على أنّ الجواري شُغلنَ الرجالَ والأمراءَ والخلفاء بنفاسةِ عقدهنَّ ورفعةِ قَدْرهنَ. فطروب بلاشك لها تأثيرُ عظيم وسحر مُبين، بحيث سَلبت لبَّ الأمير وحَظيت بهذهِ المكانةِ عندَهُ.

ولم يكتفِ الأمير بهذا الإطراء ، فقد طَلَبَ من أحَد الشعراء وكان حاضراً أنْ يُنْشِدَفهياشعراً فقال[3]:[الطويل]

أتَقْرنُ حَصباءُ اليواقيت والشَذرِ ... بمنْ يَتَعالى عن سنا الشمس والبدرِ
بمَنْ قَدْ بَرَتْ قدماً يدُ الله خَلْقَـهُ ... ولَمْ يَكُ شَـيئاً مُثْلَـهُ أبـداً يَبْـرِي
فأكرمْ بهِ من صنعةِ اللهِ جَوْهرا ... تَضاءَلَ عَنهُ جوهرُ البَـرِّ والبَحـرِ

فَطَرِبَ لَها عَبدُ الرحمنِ الأوسط طرباً شديداً وأنشـد قطعةًشـعريّة مـرتجلاً يقول[4] :[الطويل]

تَرَى الوردَ فَوقَ الياسمينِ بِخَدّهِها ... كَمافُوّف الروضُ المنوَّرُ بالزَّهرِ[5]
فلو أنني مُلِّكتُ قَلبِـي ونَـاظرِي ... نَظَمْتُها منهـا علىالجيـدِ والنَحـرِ

---

(1) النفح : جـ١ ص٣٣٦.
(2) البيان المغرب : جـ ٢ص٩٢.
(3) المصدر نفسه: الصفحة نفسها، والبيت لعبد الله بن الشحر، المتوفي (٢٢٥هـ) شـاعر مكثـر بليغ من شعراء عبد الرحمن بن الأوسط، أجزل له العطاء، أنظـر المغـرب: ج١ ص١٢٤-١٢٥.
(4) البيان المغرب : جـ٢ ص٩٢.
(5) فوق: لون، التفويص: اجتماع الألوان متجاورة. المنورانبتح الواو المشدود وكسـرها المتفـتح بالأزهار.

وأحبَّ جاريةً أُخرى إسمها (مَدَثِرة) [1] فاعتَقَها وتزَوَجَها، وجاريةً إسمها (الشِفاء) [2] وَعقَدَ عَليها فاصبَحَتْ سيدة فاضلة، وكانت مَوهوبة وصفاتها حميدة، وقد أهداها عبد الرحمن الأوسط العقدَ الشهير الذي كان بحوزة الملكة (زبيدة). وكانت تَحمل روحَ المساعدةِ فقد خُصِصَتْ معظَم ايامها لزيارةِ المرَضى والفقراءِ المعوزين[3]

ومن الجواري اللائي كان لهنَّ دورٌ (الأراكة) [4] جاريةُ محمد ابن المنذر المتوفي (٢٧٣هـ) لقد أحبها وقال فيها[5] :[المجتث]

قُلْ للأراكَةِ قَدْ زا ... دَ بالدنوّ إشتياقي
وهاجَ ما بي إليها ... تمثّلي للعناقِ
وانني وبقلبي ... جَمر جرى في المآقي
طَوَيْتُ ما بي لِيومٍ ... يَكونُ منه التَلاقي
فإنْ أعُد لاجتماعٍ ... حَرَمْتُ يَومَ إفتراقِ
لا يَعرِفُ الشَوقَ إلاّ ... مَنْ ذاقَ طَعمَ الفِراقِ

---

(1) النفح : جـ١ ص٣٣٦ – ٣٣٧.

(2) ثقافة المرأة الإندلسية ص٢٠.

(3) ليفي بروفسال : الشرق الإسلامي والحضارة الأندلسية: ص٢٠ – دار الطباعة المغربية ١٩٥١.

(4) الأراكة: شجرة طيبة العود تتخذ منها المساويك. انظرديوان ابن عبد ربه : ص١٥٧ – ١٥٨.

(5) النفح : جـ٥ م٣ ص١٢. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . عشرة أجزاء بخمس مجلدات ط١٩٤٩.

• المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. كنيته أبو الحكم. كان بعيد الهمة قوي الشكيمة ، ومن شعرائه أحمد ابن عبد ربه. توفي المنذر فجأة في محلة بهشتر. انظر ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ص٦ وأعمال الإعلام : ٢٣.

ولا يخلوُ شِعرُ الخلفاءِ من التَشوقِ لهنّ ومشاركتهنّ الرأى في بعض الأمورِ، من ذلكَ ما صدرَ عن (المنذربن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام) المتوفي(٢٧٥هـ) في نَكبَتِهِ من اشعارٍ ومُلاطفَاتٍ لجاريةٍ لَهُ تُسمى (عاج) [١] ومن الشعر [الطويل]

وإني عَدَانَي أنْ أزورَكِ مَطْبَقٌ

وبابٌ منيعٌ بالحديدِ مُضبَّبُ

فإن تَعْجَبي يا عاجُ مما أصابَني

ففي رَيبِ هذا الدَهرِ ما يُتَعجَّبُ

تركتُ رَشادَ الأمرِ إذْ كنتُ قادراً

عليه فلاقيتُ الذي كُنتُ أرهَبُ

ويُذكر أنّ الأميرَ الناصر أحب جاريةً له تدعي (الزهراء) وطَلَبَتْ منهُ يوماً، أن يبني مدينة خاصة لها ويسميها باسمها. فبنى المدينة التي أحكَمَ صَنعَتَها وجَعَلَها مُتَنزَهاً ومَسكناً للزهراء نُزولاً عند رَغبَتِها وتحقيقاً لا منيتها[٢].

ولقد ملكت الجواري من الجبلة الدهاء ما استطعن به استلاب مكانة الحرائز من الضرائز.

ولقد تَغلَبَتْ (مَرْجانٌ) [٣] على ضُرَتِها الحُرةِ القُرَشيّة (فاطمةُ بنت المنذر[٤]) بحيلَتِها ودَهائِها فقد ابتاعت منها ليلَتها مع الناصر حينَ غَنَتْ وازدهتها أريحيّة تناولت العود فَقَرَعتْهُ مُغنيةً بإيقاعِ هزّ أعطافها لها: [مجزوء الرجز]

---

(١) أعمال الإعلام : ص٢٤ – ٢٥.

(٢) أنظر نفح الطيب/ جـ١ ص٤١٥ وجـ٦ ص٨٩، وانظر إعلام النساء: جـ٤ ص٤٠ . طـ٢ المطبعة الهاشمية – ١٩٥٨.

(٣) ابن حيان: المقتبس : جـ٥ ص٧ – ٨ – ٩ . نشر شالميتا مع ف. كورنطي وأم صبح – طـ المعهد الأسباني العربي للثقافة . كلية الآداب بالرباط، مدريد ١٩٧٩.

(٤) ابن حزم الأندلسي: نقط العروس: ص٦٩ برواية الحميدي نشر الدكتور شوقي ضيف – مجلة كلية الأداب – جامعة فؤاد الأول– القاهرة المجلد الثالث عشر، ط ١٩٥١.

- الزهراء مدينة بناها

الناصر لدين الله ، وامعن في بنائها، وجلب اليها الرخام الملون والمرمر تقع غربيّ مدينة قرطبة. .

يا ليلةً لَوْ أنَّها تبتاعُ لي أو تشترى شَريتها بكُلِّ ما أطلُبُه مِنَ المُنى[1]

وبَعَد حِوارٍ دارَ بينهما (قالتْ لَها القُرشية – بِفَضلِ وِقارِهَا وفي سبيلِ الشَطط ومعنى المهازلة – (أعطني بها عشرةَ آلاف دينار وأنا أبيعُها منك) فقالت مَرجانُ (قَدْ قَبلتُ وأشتَريتُ واغتَبَطتُ). وقالت لها مرجانُ: لابدَّ لي والله، من أنْ آخذ خَطَّ يَدَكِ العزيزة أيتُها السيدة الكريمةُ ببيعكِ حينَ هذه اللّيلة واستحقاقي إياها لا ستظهرَ به عندَ مولانا أميرَ المؤمنين فيُعطيني بحقي) [2] فاستَخفَتْ القُرَشيةُ بالشأنِ، فَكَتَبَتْ لِمَرجانَ رقعةً بِخَطها وأشهَدَتْ لَها مَنْ حَضَرَها مِنْ كرائم الخليفة.

فَلَما نَظَرَ في الرُقعةِ عَظمَ عَليه فَأربَدَّ وَجهُهُ وهَاجَتْ نَفسُهُ غَضَبَاً على إبنة عَمه، وارتاحَ لصدقِ مَودةِ مَرجان وقال لها:-

(يا مرجان حملَتكِ الرغبةُ في قربي والحرص علي الأستكثار مني ان بذلتِ لهُ مثل هذا المال الذي أهديتُهُ لكِ في ثمنِ ليلةٍ تعَجلْتها منيّ لم تكُنَ لتفوتكِ بدنوِّ نوبتكِ) فأجابتْ .. واللهْ ، واللهْ لو أني ملكتُ هذا القصرَ وما يَحويهِ لِما رأيتَهُ ثَمناً منكَ بهذا المالِ الذي جاءت به يَدُكَ الكريمة .

قال لها: يا مرجانُ فابشري ثمّ ابشري، فقد رَبحت تجارتُك وزكَتْ صَفقتُكِ وَدَلَلتِ على شَرفِ نفسكِ وصدقِ مودتكِ وتَبَتْ يدا ابنةَ عمي التي جَهلَتْ حقي وباعتني بالثمنِ الخسيسِ زُهداً فيّ والحقُ أولى بي فيك. فاقتاديني إلى قَصرِكِ فإني طوْع يَمينِكَ. وحبيس هواك [3]. وأعطاها المالَ الذي حَمَلَتْهُ إلى حُرَتِه القَرَشيّة. وأتخذ مرجان وسيدة نسائه وكبرى خطاياه وسماها السيدة الكبرى ولم تزلْ منزلتُها ترتفعُ حتى ملكتْ زِمامَ قِيادَهُ. وقِيلَ لا تَصلُ النساءُ إلى مطالبهنَ من كرائمه وحَظاياه إلاّ بشفاعةِ مرجان لغَلبتِها على قلب الناصِر.

---

(1) أنظر المقتبس : جـ ٥ ص١٠.

(2) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه : ص١١.

ورزقها الله منهُ ببنتَين هُما (هِندُ وولادةُ) [1] وثلاثة ذُكور. أمّا الحرةُ القَرشيّة التي كانت (من النساء المُعرقاتِ في الخلافةِ) [2] فلَمْ تَستَقلْ عِشرتُها لديه وأقسم ألا يدْخل إليها.

وهكذا استطاعت بـ(سعةِ عقلِها، وفطنتها، ولُطفها، وأدَبها، ورَشاقتِها، وحَلاوةِ صُوَرتها وعُذوبةِ مَنطقِها ومَلاحةِ إشارتها. علاةً على حُسْنِ أخلاقها أن تفوز على ضرتها.

ويَبدو أهتمامها واضحاً بالشعر مما جَعَلَها تلُقنه للطيور، فقد ذُكِرَ أنَّ الناصرَ أحضرَ طبيباً [3] لعِلاجه ، وجَلَسَ لذلكَ بالبَهوِ المُشرفِ بأعلى الزَهراء، ولمّا أخَذَ الطبيبُ الآلة ليقوَم بالجراحةِ. أطلّ زرزورٌ وصعدَ على إناءٍ من الذَهبِ كانَ بالمجلس وأنشدَ[4] :[مجزوء الرمل]

أيُّها القاصِدُ رفقاً ... بأميرِ المؤمنينا
إنما تَقصُدَ عِرقاً ... فيهِ مُحيا العالمينا

قيلَ إنَّ مرجانَ صَنَعتْ ذلكَ وأعدتّه لتفاجيء به الناصر، فوهب لها ما يزيد على ثلاثين ألف دينار، قد يكون في هذا النوع من الأخبار تهويل وإختراع ولكن دلتَ صياغَتُهُ على شيوعِ الشعرِ في حياة الأندلسيين أولاً وإعجاب المرأة به وتمكنها منه ثانياً – مما جَعَلَها تُلَقنُهُ للزرازيرَ.

---

(1) المصدر نفسه: ص١٢ – ١٣.

(2) نقط العروس : ص ٦٨– ٦٩.

(3) نفح الطيب: جـ١ ص٣٣٨، وانظر أحمدهيكل: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: من ٢٣٠ . طـ ٤– ١٩٦٨ دار المعارف.

(4) النفح : جـ ١ ص٣٣٨.

وقد حَظِيَتْ المرأةُ بصورةٍ عامة بمكانةٍ مرموقة لدى الخلفاء بحيث نَجد (عبد الرحمن الناصر) [1] المتوفى (٣٥٠هـ) الذي تمتع بشخصية هامة ومتميزة في التاريخ الأندلسي، قَدْ مَنَحَ الإحترامَ والتقديرَ لـ (رسيس) فدعاها لرفقته. (وهي امرأة من دارِ الجراحِ اتصلتْ بالناصر وخَفِيَتْ عليه حتى حَمَلَهُ ذلك على أنْ أركبَها مكشوفةً في مَوكبه بقلنسوةٍ وسيفٍ تَقَلَّدَتْهُ، على بَغْلٍ خَلْفَهُ، بَينهُ وبَيْنَ الأولادِ وقطعتْ الطريق إلى الزهراء[2] .

لقد بَدَتْ لَهُن مواقف مشهودة في بعض مَيادينِ الحياة وجاءتَ مشاركَتُهن واضحة في الحياةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والثقافية. أمّا من الناحيةِ السياسيةِ فقد ظهرَتْ بوادرها واضحة في تَسيير دَفةِ الحُكم عند الجارية (صُبح) [3] التي تزوجها الخليفة الحكم المستنصر المتوفي (٣٦٦هـ) بَعْد أنْ خلَبَتْ عقْلَهُ وملَكَتْ قَلْبَهُ. فكان العظماءُ يغْشُونَ دارها ويَبْتَغُونَ الوسيلةَ عندَها والزُلفى إليها، على الرغمِ من كونِ زوجِها هو الحاكم. إلاّ أنها استطاعت أنْ تَعزِلَ هذا وتُرقي ذاك.

وبعد أن تولي إبنها ولاية العهد بعد وفاة والده كان دورها واضحا في توجيهه

ولابدّ لنا ونَحنُ في مجالِ الحديثِ عن النساء من أنْ نتحدثَ عن الحرائر منهن حيث تُطالعنا حسانَه التميمية[4] . وهي شاعرةٌ مُجيدَة كتبت إلى أبي العاص المتوفي (٢٠٦هـ) بعد وفاة والدها أبي المخشي[*]، أبيا منها:[بسيط]

---

(1) ابن حزم الأندلسي: نقط العروس : ص٧٣ -٧٤.
(2) نقط العروس: ص٧٣ -٧٤.
(3) انظر أعمال الإعلام: ص٤٢ – ٤٣ وعبد الله عفيفي: المراة العربية في جاهليتها وإسلامها : جـ ٣ ص٥٥.
(4) أنظر نفح الطيب : جـ ٥ م٣ ص٣٠٠-٣٠١. الدر المنثور : ص١٦٤ – ١٦٥. إعلام النساء : جـ ١ ص٢٥٦.
(*) أبو المخشي : عاصم بن زيد العبادي، مدح سليمان بن عبد الرحمن الداخل، أعدَهُ أخوه هشام تعريضا به فسَمَل عينهُ وقطعَ قطعةً من لسانه. انظر أحمد هيكل: تاريخ الآداب الأندلسي : ص ١١٧ وأنظر إ . ر. نيكل : مختاراتَ منَ الشعر الأندلسي: ص١٠ – ١١ . بيروت دار العلم للملايين. طـ . الأولى – ١٩٤٩. وأنظر الأندلسيون الأوائل : ص١٦٥.

وإني إليكَ أبا العاصي مُوجعــةٌ أبا الحسينِ سقَتْه الواكفَ الديمُ
قد كنتُ أرتعُ في نُعماه عاكفــةً فاليومَ آوي إلى نُعماك يا حكَمُ

فاستحسن الحكمُ شِعْرَها وطلبَ أنْ يُجرى لها مُرتَبٌ. وقد أنشدتَ عندَ إبنهِ عبدالرحمن ، قائلةً:[طويل]

إلى ذي النَدى والمَجد سارتْ ركــائبي على شَحطٍ تَصْــلَى بنــارِ الهــواجرِ
ليُجْبِــرَ صَــدْعي إنــه خيــرُ جــابرٍ ويمنَعني مــن ذي المظــالمِ جــابرِ
فــأني وأيتــامي بقبضــةِ كفــهِ كذي ريش أضحى في مَخالبِ كاسـرِ

قيلَ لما فَرغْت من إنشادِها . رَفعتْ إليه رُقعةً بخطِ والده. فقَبّلَ خَطَّهَ ووَضَعهُ على عَينهِ ... وأمَر لها بجائزةٍ فانصرفت وبعثت إليه بقصيدةٍ منها:[البسيط]

ابْن الهشامين خَيرُ الناس مأثرةً وخَيرُ مُنتَجع يوماً لروّادِ

يبدو أن حَسانةَ كانت مُتَكَسبة في شعرها .. وكانت تُلبي حاجات الحرائر مــن النساء. فقد ذُكِرَ أن الحَكم أغاثَ إمرأةً بعد أنْ استصرخته، فــأمرَ بضــربِ رقــابِ الاسرى بحضرَتِها وسألها هَلْ أغاثَها الحكم؟ فقالت المرأةُ والله لقــد شــفى الصــدورَ وأغاث الملهوف، فأغاثَه الله ، وأعزَّ نَصْرَهُ، فارتاحَ لقولها وبدا السرورُ فــي وجهــهِ [1]، وكان لتشجيعِ الثقافة والعلوم اثرٌ في ظهورِ الكثيرمن الشواعر والأديبــات ومــن اشهرِهن (البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم التي إتســمت بــالتقوى والــورَع والعفةِ. وقد ضمّنتْ شِعرَها الإيات القرآنية، ولفضائلِها؛ أُطلِقَ اســمها علــى مســجد قرطبة. سمي مسجد البهاء[2] توفيت سنة (٣٠٥هــ).

---

(1) نفح الطيب: جــ١ ص٤٣٦. أخبار مجموعة من فتح الأندلس: ص١٢٩.
(2) ثقافة المرأة الأندلسية : ص١٩.

ومن الحرائر المعرقات في الخلافة فاطمة بنت المنذر زوجة الناصر وهي التي يقول فيها[1]:[الطويل]

وماذا على أمّ الحبيبة إذ رأتْ جلالةَ قد ري أنْ أكونَ لَها صهراً
حَمَامَةُ بيت العَبيَشميين حَلقَتْ فَطِرْتُ إليها من سَراتِهم صَقراً

على الرغم من المواقف الإيجابية تَعَرَضتْ الجارية لقساوة سيدها، فقد ذَكَرَ ابن حيان* المتوفي (٤٦٩) [2] أنَ ابا مضر** محمد الطيبني المتوفي (٣٩٤هـ) الذي كان عالماً بأخبار العرب وأنسابهم متمكناً من قول الشعر شَرِبَ يوماً مع المنصور بن أبي عامر فَغَفتْ قينة ببيتين من شعرهِ مترنمةً:[الخفيف]

صَدفت طيبة الرّصافةِ عنّا وهي أشهى من كلِّ ما يُتمنى
هَجَرتْنا فما إليها سَبيلُ غيرَ أنا نَقولُك كانت وكُنّا

فاستعادها أبو مضر، فأنكرَ ذلك المنصورُ ، وعَلِمَ أنَ هيبته لم تملأ قلبه فأوماً إلى بعضهم، فأخرج رأس الجارية في طست، ووضعه بين يدي الطبني، وقال له المنصور: مُرها فلتُعد، فسقط في يده[3] . ومن تساوة معاملة الجواري أن أحدهم كانت عنده صارمة وكان مفتونا بها وقد سكر ليلةً فأكثَر من تَقبيلها، فأكثرت الضَجَرْ،

---

(1) نقط العروس : ص٦٩ . الذخيرة : م١ ق١ ص٥٥ – ٥٦ .
(2) المغرب : جـ١ ص ٢٠٧.
* أبو مضر الطبني: محمد بن حسين الطبني شاعر مكثر وأديب مفتن توفي سنة (٣٩٤هـ) انظر المغرب: جـ١ ص٢٠٦ – ٢٠٧.
** أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (٣٧٧ – ٤٦٩هـ). بحاث جليل ومؤرخ أصيل، اشتهر بكتاب (المقتبس في تاريخ رجال الأندلس). أنظر ترجمته في الذخيرة : ق١ م٢ ص٥٧٣. وانظر خير الدين الزركلي: الإعلام: م٢ ص٢٨٩ ط. دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩.
(3) المغرب: جـ ١ ص٣ .

وقبضت وجهها فأمر ألاّ يزال وجهها يلتم بألسنة الشمع، وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت[1] .

وقد استدعى الناصرُ المتوفى (٣٥٠هـ) شُرطية ليلاً وأمرَهُ بضربِ عُنُقِ جاريةٍ فائقةَ الحُسن و الجمالِ، وهي تَسترحمه فلا يرحمها ولمّا خَرَجَ بها إلى الحُفرة سقَطَ عِقْدُها، رَجع الشرطيُ إلى الناصرِ وأعلمَه فقال لهَ: (إذهب به فهولك) [2] .

ومن الحرائر (حفصة بنت حمدون) [3].

وهي أديبةٌ شاعرةٌ . سَكَرَتْ العقولَ بمعانيها الساحرة. كَثُرَ إختراعها للمعَاني فجاء أدَبُها بهيجاً ، وشعرها ذو عطرٍ وأريج ومنه قولها:[الخفيف]

لِي حبيبٌ لا ينثني بعتابٍ ... وإذا ما تَركتَهُ زَادَ تيهاً
قال لي هل رأيتَ لي من شبيهٍ ... قلتُ ايضاً وهل تَرى لي شبيهاً

ويبدو أن هذه الشاعرة عاشت في القرن الرابع الهجري كانت مُنَعمةً مخدومةً. ولها بيتانِ تذم خدمها قائلةً:[السريع]

يا ربِّ إني من عبَيدي على ... جمرِ الغَضا ما فيهمُ من نجيبْ
إمّا جهولٌ أبلهٌ مُتْعِبٌ ... أو فَطِنٍ من كِبرِه لا يُجِيبْ

أما عائشةُ بنت أحمد القرطبية [4] فقد بَرزَتْ بين زميلاتها في عِلمها وذكائِهاوفصاحتِها. وحُسنِ خَطِها لنسخ القرآن، دخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديهِ وَلَدٌ فارتجلت:[الوافر]

---

(1) المصدر نفسه: جـ١ ص٣.
(2) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام: ص٣٩ تحقيق . إ. ليفي بروفنسال دار المكشوف ١٩٥٦.
(3) نفح الطيب : جـ٦ م٣ ص٢١ – ٢٢ . الدر المنثور : ص١٦٥. مختارات من الشعر الأندلسي: ص٣٠. إعلام النساء: جـ١ ص٢٧٢.
(4) نفح الطيب : جـ٦ م٣ ص٢٦ . مختارات من الشعر الأندلسيص٤٣ – ٤٤ . ثقافة المرأة الأندلسية: ص٣١.

أراك الله فيه ما تُريـدْ ولا برحتْ معاليه تَزيدْ
فقد دلّتْ مخايلُه على ما تُؤمّله، وطالعُه السـعيدْ

ولها أشعارٌ تبدو فيها عازفة عن الزواج.

لقد اثبتْت المرأةُ قوتَوشجاعةً في مواقفها مع الأمراءِ والخلفاءِ وكثيراً ما كانت تمزُجها بروح الظرفِ والدُعابةِ وحضورِ بديهةٍ وسرعةِ خاطرٍ وشجاعة نادرة تمثـل ذلك في تكفات البربرية التي خبأت عبد الرحمن الداخل المتوفي (١٧٢هـ) تحـت ثيابها عندما فَتَشَتْ الرسلُ عنه. وحين استظلت بظلهِ في الاندلس. قال لها مداعباً:-

لقدَ عذّبتني بريحِ إبطْيكِ يا تَكفاتْ على ما كانَ بي من الخَـوف، وَسَـطعتَني بأنتنَ من ريحِ الجيف. فكانَ جَوابهَا له مُسرعة:-

بل ذلكَ كان واللهِ يا سيدي منكَ. خَرَجَ ولَمْ تَشـعُر بـهِ مـن فَـرطِ فَزعِـكَ فاستظرفَ جَوابَها[1].

على الرغم من تَعرض المرأة للمعاناة والآلام، لما اصابَ البلاد مـن مأسـاة أثناء الفتح[2] ... إلاّ أنّها بَدَتْ لطَيفة مَرحة صاحبةُ نكتة.

لقد أحبَ الأبُ إبنَتَهُ وكانت العَلاقةُ بينهما تَقومُ على المودةِ والإحترام وتبـادل الآراء. على سبيل المثال قيل إن (سجدون) [3] المتوفى (٢٤٠هـ). لما تمت ولايتـه

---

(1) نفح الطيب: جـ١ ص٣١٢ – ٣١٣.

(2) محمد عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار : ص٤٦٢. تحقيـق إحسـان عباس. طـ – ١٩٧٥ – لبنان.

(3) سحنون : عبد السلام بن سعيد بن حبيب كان يلقب بسحنون تولي القضاء سنة (٢٢٤هـ) . أنظر :

أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي: تاريخ قضاة الأندلس: ص٣٠ شر ليفي بروفنسال – مدير معهد الدراسات الإسلامية – باريس القاهرة. طـ الأولى سنة ١٩٤٨.

قاضياً سار حتى دخل على إبنته خديجة، وكانت فتاة خيرّة حسنة الأخـلاق عفيفـة. فقال لها (اليوم ذُبح أبوك بغير سكين) [1]. فأدرك الناس قبوله للقضاء.

وأمّا صورة المرأة في الشعر الأندلسي قبل عصر الطوائف فتبقى أبعد من أن تفسرها علاقات الإعجاب والمحبة، وأبعدمن أن يفسرها الشـعر .. إلا أن صـورتها الأكثر واقعية انعكست في أشعارهم، فوصفوها من قمة رأسها حتى أخصص قـدمها. سواء أكانت صفات مادية أم صفات معنوية. ومن العجيب إننا نجد كثيراً من الشعراء الذين سمت مرتبتهم وإرتفعت منزلتهم بين أمراء وخلفاء ، اذلاء متناسـينَ مكـانتهم الاجتماعية أرقاء يتوسلوَن، متنازلينَ عن هيبتهم ووقارِهم، ضعفاء منقادين للنسـاء ، ولا سيما الجواري منهنَّ.

ولقد سَجّلَ عبد الرحمن بن الحكم ولَعاً بجواريه اللائي أُغرِمَ بهنَّ مـن ذلـك قوله[2]:[الخفيف]

ظَلَّ من فَرطِ حبه مملوكاً ... ولقد كـان قبـلَ ذاك مليكـاً
هكذا يحسنُ التذللُّ للحـــ ... ـرِّ إذا كانَ في الهوى مملوكاً

ومثله قول الحَكَمْ* بن هِشام بن عبد الرحمن المتوفى (٢٠٦هـ) وقـدحالت جواريه بينهُ وبين نسائه:[البسيط]

ملّكتنـي ملكـاً ذلّـت عزائمُـهُ ... للحبِّ ذُلَّ أسـير مُوثـق عـاني[3]
من لي بمغتصباتِ الروحِ من بَدني ... يغْصبْنَني في الهوى عزّى وسلطاني

---

(1) المصدر نفسه : ص٢٨ – ٣٠.
(2) أخبار مجموعة : ص١٣٤ – ١٣٥ . أعمال الإعلام : ص١٦-١٨ . نفح الطيـب : جـ١ ص٣٢٩ -٣٣٠.
* الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، ويلقب الحكم الرابطي ويكن أبا العاصي، أنـه أم ولـو إسـمها زخرف. أنظر بقية الملتمس، ص١٦ وأخبار مجموعة ص١٢٤.
(3) أخبار مجموعة في فتح الأندلس: ص١٣٤، وأنظر مختـارات منالشـعر الأندلسـي: ص١٢، دولةالإسلام: ص٢٥٠.

ومن التذلّلِ للحبيبةِ قولُ إبنُ عبد ربهِ المتوفى (٣٢٨هـ) [١].

خلّيتِ قلبي في يدي ذات الخالْ مُصفداً مُقيّداً في الأغلالْ

وفي الطاعةِ الإنقياد للمحبوبِ قوله[٢] :[مجزوء الرجز]

أعطيته ما سألا حكّمتُهُ لو عدلا
وَهبتُهُ روحي فَما أدري بِه ما فَعَلا
قَيّدَهُ الحُب كَما قَيدَ راعٍ جَمَلا

ويُجسد أبو جعفر بن عثمان المصحفي * المتوفى (٣٧٢هـ) تذللهُ في الحبّ[٣]:[الخفيف]

قد رَضيتُ الهوى لنفسَى خِلاّ ورأيتُ الممات في الحبّ سهلاً
وتذلّلت للحبيبِ وعِزُّ الـ حبِّ في سُنّةِ الهوى أن يُذلا

---

(١) ديوان ابن عبد ربه : ص١٤٩. جمع وتحقيق د. محمد رضوان الداية ط. الأولى ١٩٧٩ مؤسسة الراسلة. ابن عبد ربه:هو أحمد بن محمد، بن حبيب، بن حد ير بن سالم. كنيته (أبو عمر) قال عنه الحميدي : من أهل العلم، والأدب، والشعر، صاحب كتاب العقد الفريد. أنظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء: جـ٤ ص٢١١ – ٢٢٤. ط. الأخيرة. دار احياء التراث العربي – لبنان.

(٢) ديوان ابن عبد ربه : ص١٤٤.

- المصحفي: علم من أعلام القرن الرابع الهجري، استوزره الحكم المستنصر ثم واه حجابته المنقل المنصور ه أبي عامر وصادر أمواله هو شاعر من طبقة بشار بن برد ضاعت أشعاره ليس له ديوان أنظر:
- محمد محمود يونس: ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي: ص١٧٥-١٧٦ في هامش رقم (١) قطعة (٤٠) مستل من مجلة كلية الأداب – المستنصرية العدد ١٠ سنة ١٩٨٤.

(٣) المصدر السابق ص ١٩٤.

obeikandl.com

ولقد سجلَ الشاعرُ سليمان بن الحكم المستعين صورةً واضحةً لانقيادِ الرجال للجواري فجاءت أيامهُ التي عارضَ فيها (هارون الرشيد)[1]:[الكامل]

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عَناني ... وحللْنَ من قلبي بكلِّ مكـانِ
مالي تطاوعني البريةُ كلُّهـا ... وأُطيعُهنَّ وهنَّ في عصياني
ما ذاك إلا أنّ سلطانَ الهوى ... وبه قَوَيْنَ أعزّ من سـلطاني

وهؤلاءِ الثلاثُ هنَّ اللائي صَرَحَ بأسمائهن في قولهِ[2] : [الرمل]

إنّ سِحراً وضياءً وخَنـث ... هُنَّ سحر وضياء وخنـثْ
أخذت سحرُ ولا ذنبَ لها ... ثُلُثيْ قلبي وترباها الثُلُثْ

تقول الباحثة الإسبانية (ماريا خيوس ربوبييرا) [3] Maria Jeous Rublera (إنّ هذه القصيدة صفة بلاطية تبين خضوع المحب للمحبوب بقوة الحب الذي يُصيّرهُ عبداً خاضعاً مهما كانت منزلته، [4] ثم أضافت قائلةً (إن هذا التقليدَ يَرجِعُ إلى الشاعرِ المعروفِ في بلاطِ الخليفةِ في قُرْطُبةَ سليمانُ المستعين).

على ما نعتقد ترجحُ الباحثُة قضية التذللِ والإنقيادِ للمحبوبِ كونُها دخيلة على الأدبْ الأندلسي متوارثة من الأدب المشرقي.

لذا قلّد المستعين هارون الرشيد في حبه لجواريه وعارضه قائلاً[5]:[الكامل]

عجباً يهابُ الليـثُ حـدَّ سـناني ... وأهابُ لحـظَ فـواترِ الأجفـان
فأقـارِعُ الأهـوالَ لا متهيبـاً ... منها سوى الإعراضِ والهِجْرانِ
وتملّكتْ نفَسي ثـلاثٌ كالـدّمي[6] ... زُهْرُ الوُجـوهِ نـواعِمُ الأبـدانِ

---

(1) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٧. طـ . دار الثقافة – بيروت ١٩٧٩.
(2) المرأ العربية :جـ٣ ص٤٢-٤٣.
(3) ماريا خيوس روبييرا : مجلة الأندلس: ص١٣٣ – ١٤٤ – م سنة ١٩٧٢. مقال حول موضوع (ملك الثلاث الآنسات عناني).
(4) المصدر نفسه : ص١٣٥ –١٣٧.
(5) الذخيرة : ص٤٧ –٤٩ . البان المغرب : ج٣ ص١١٨ – ١١٩. طـ باريس ١٩٣٠ – ليفي بروفنسال . النفح : جـ ١ ص٤٠٤-٤٠٦.
(6) الدمي : جمع دمية، وهي التماثيل من العاج.

فأبحن من قلبي الحمى وتركنني ... في عزّ مُلكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكاً تذلّل للهوى ... ذلّ الهوى عزٌّ ومُلك ثاني
ما ضرّأتي عَبدهُنّ صبابةً ... وبنوا الزّمان وهنّ من عُبداني
إنْ لم أطِع منهنّ سلطانَ الهوى ... كَلِفاً بهنّ فلستُ من مروان

ربما يكون إمتداد هذا الموضوع إلى عصرِ الطوائف ثُمّ إمتدّ إلى الأدب الأسباني. ولا ندري ربما سجلَ شعراء الطوائف إذلالاً أعمق فقد قيل (الهوى هوان ولكن غُلِظَ باسمهِ وإنما يُعرف من يقول ، من أبكتهُ المنازلُ والطلولُ)[1]

أمّا الوصف المادي للمرأة فقد نالت العيون الحوراء استحساناً عند الشعراء فتغزلوا بها من ذلك قول ابن عبد ربه[2]:[مجزوء الوافر]

غزالُ زانَهُ الحَورُ ... وساعدَ طَرَفَهُ القَدَرُ

وله أيضاً[3]: [الكامل]

حوراءُ داعَبَها الهوى في حُور ... حَكَمتْ لواحظَها على المقدور
نظرت إلى بمقلتي أدمانة ... وتلفتتْ بسوالفِ اليعفور[4]

ومثلما نالت العيون الحوراء إعجابهم نالت الشهلاء[5] ذلك أيضاً:[مجزوء الوافر]

خَرجتُ أجتازُ قَفْراً غير مجتازِ ... فصداني أَشْهَلُ العينينِ كالبازي

---

(1) ابنْ عبد ربه: العقد الفريد: جـ٤ ص٤٣. تحقيق محمد سعيد العريان مطبعة الإستقامة ، القاهرة – ١٩٥٣.
(2) الديوان : ص٧٩.
(3) نفسه : ص٨١ –٨٢.
(4) الأدمانة : الظبية ، اليعفور: الظبي. وفي الحور وردت لأبي بكر يحيى بن هذيل المتوفى (٣٨٩هـ) أبيات ، أنظر النفح: جـ ٤ ص١٤٩.
(5) ديوان ابن عبد ربه : ص٩٠. الشهلاء: إذا كان بياضها ليس بخالص (اللسان).

ويبدو الأنف الصغير موطن فتنة وجمال عند المرأة وحاملته تسمى ذلفاء وفيها يقول الشاعر[1]:[المدير]

إنما الذَلفاءُ ياقوتةٌ أُخرِجَتْ من كيسِ دُهقانِ

بيدو أن المرأةَ المتوسطة القامة الرشيقة القوام نالت إعجاب الرجال، منهم زرياب البغدادي[2] ، حين قال : [مجزوء الكامل]

عُلِقتها ريحانة هيفاءَ عاطرةً نضيره
بين السمينة والهـ زيلةِ والطويلةِ والقصيرةْ

وفُضِلت المرأة الرشيقة ذات القد الممشوق والردف الممتلئ وفيها يقول الحكم بن هشام بن عبد الرحمن[3] المتوفى (٢٠٦هـ). [من البسيط]

قُضُب من البانِ ماسَتَ فوقَ كثبانِ ولَّينَ علّي وقد أزمعنَ هجراني

وفضلت الشابة الطويلة البيضاء، الممتلئة ذات العنق الطويل والخد الأحمر. من ذلك قول ابن عبد ربه[4]:[البسيط]

عُطابيلُ كالآرام أمّا وجوهها فدُرّ ولكنَّ الخدودَ عقيقُ

ونالت البشرة البيضاء المشربة بحمرة إعجابهم، كما نال ذلك الخد الناعم الرقيق وقد أجاد ابن هانئ حين قال[5]:[الطويل]

له وجَناتٌ في بياض وحُمرةٍ فحافاتُها بيض وأوساطُها حُمْرُ
رِقاقٌ يَجولُ الماءُ فيها كأنها زَجاجُ أُجيلتْ في جَوانبِها جَمْرُ

---

(١) المصدر نفسه : ص١٦٦. / والزلفاء: المرأة الصغيرة الأنف في استواء.
(٢) نفح الطيب: جـ٤ص١٢٧ . مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٤.
(٣) نفح الطيب: جـ ص٣٢١. الكثبان : جمع كثيب. وأصله ما اجتمع من الرمل .
(٤) الديوان: ص١٤.
العطبول: المرأة الفتية الجميلة الطويلة العنق.
(٥) الدكتور زاهد علي: تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ: ص٨١٧. ط . القاهرة ١٩٣٤م. ابن هانئ الأندلسي: محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأندلسي الذي هو أشعر شعراء المغرب على الإطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولا جل ذلك يقال له متنبئ المغرب. انظر مقدمة المصدر السابق ص١٩. نقلا عن ابن خلكان : جـ ٢ ص٥.

أما المرأةُ البيضاء ذات الخد الأحمر، والشعر الأسود، واللّثة الداكنة فقد كانت موطن فتنة للشعراء[1]:[المتقارب]

بِسُودِ الغدائرِ حمرِ الخُدودِ بيضِ الترائبِ لُعسِي اللَّثى[2]

أمّا الشَعَرُ الأسود الذي فاقَ اللّيلَ سوادُه فَيظَهرُ صِفةً غالِبَةً لنساءِ تلكَ الفترة[3].

لقد أكسبَ الشَعرُ المرأةَ جمَالاً إضافياً ويبدو وأنها كانت تُقَصّرِهُ من الأمام على جبينها وتتركهُ مسَدولاً من الخَلف على كتفها، يقول يحيى بن هذيل المتوفى _٣٨٦هـ) [4]:[المتقارب]

وراقصةٍ أسبلت لِمّةً عليها تُؤنّقُ في قصّها

ومثلما نالت الشَفة المائلة إلى السوادِ الإعجاب نالت الأسنان البيضاء المتناسقة التنظيم. يقول الغَزال[5]:[الكامل]

تفترُّ عن دُرٍّتناسق نظمهُ فيه لَثاةٌ عذَبَةٌ وغُروبُ

وكثيراً ما شبهت الأسنان البيضاء بالفضة واللّثة بالنضار[6]. أو تشبيهها بالدرّ المنضد ، منه قول سليمان المستعين[7]:[الطويل]

تَبَسم عن دُرّ تنضدَّ في الورسِ وأسفرَ عن وَجهٍ يتيهُ مع الشمسِ

---

(1) ديوان ابن هانئ: ص٧٧٤.
(2) اللثة: وهي ما حول الأسنان من اللحم وفيه. واللّمس محركة سواد مستحسن في الشفة.
(3) أنظر ديوان ابن عبد ربه: ص١٥٧. وديوان ابن هانئ ، ص٦٥٩.
(4) التشبيهات: ص٢٣٥ قطعة ٥٢٣. أبو بكر يحيى بن هذيل . شاعر كفيف توفى ٣٨٦ هـ وقيل ٣٨٩هـ . أنظر بن خلكان: وفيات ال'يان جـ٧ تحقيق د. إحسان عباس.
(5) المطرب : ص١٤٩. قيل في جارية تدعي (لعوب).
(6) أبو الوليد الحميري: البديع في وصف الربيع: ص٥٠ تحقيق هنري بيريس
(7) الذخيرة: م١ ق١ ص٥٧.

وقد نالت الأصابعُ الطويلةُ الناعمةُ البيضاءُ، إعجاب الشعراء وعُدت من مواصفات الجمال عند المرأة ومنها قولهم[1]:[الطويل]

ولم أنسَها تثني يدي بمُطرَفٍ لطيفٍ على المِسواكِ مُختَضِبٍ بدَم

ومن معايير جمالها أنْ تكون كبيرة الأرداف نحيلة الخصر ضامرة البطن من ذلك قول ابن هانئ[2]:[الكامل]

ثَقُلَتْ روادفُها* وأُدمِجَ خصرَها فأتتكَ بين مُفعَمٍ ومُخَمَّصِ

وكثيراً ما تغزل الشعراءُ برشاقةِ الحبيبةِ وطولِ قدِها وصَدْرِها، وشُبِهَ صَدْرُها بالرمان وبالفضة في بياضة . قال الغَزّال[3]: –

وعانقتُ غصناً فيه رمان فِضةٍ وقَبّلتُ ثغراً ريقُهُ ريق سُكَّرِ

وقد شُبه رضابُ المرأة بالسُكرِ كما شُبهت مراشفُها بالعَسلِ عذوبةً وحلاوةً في مذاقها، قال الغَزال[4]:[الكامل]

حاولتُ منها رَشْفةً فكأنها عَسَلٌ بحالِ سَحابةٍ مَقْطُوبُ

ومِثْلُهُ قولُ ابن عبد ربه[5]:[الخفيف]

ورِضابٍ كأنهُ ما يَمجُّ النَحلُ طِيباً وما يَسُحُّ الحَبِيُّ

وقدشبهُ الرضاب بالخمرة: [من الوافر]

---

(1) ديوان ابن هانئ : ص٧١٤.
المطرف: من طرفت المرأة بنانها إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء فهي مطرفة.
(2) ديوان ابن هانئ : ص٣٨١.
* الروادف : جمع رادفة. وهي العجز والكفل وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه. والمدمج الملفوف. والخصر بالفتح وسط الإناث. المفعم المملؤ من فعم الإناء إذا ملأه. المُخمص: الضامر البطن.
(3) فصول في الأدب الأندلسي: ص٢٢٣.
(4) المصدر نفسه: ص٢١٤. مقطوب : ممزوج.
(5) الديوان : ص١٧٨ .. الغزال: يحيى بن الحكم البكري –أبو بكر – وقيل أبو زكريا الجياني نسبة لجيان لقب بالغزال لوسامته وجماله وأناقته وبهذا اللقب اشتهر، تمكن من نظم الشعر في سن الشباب له شعر مجموع جمعتد . حكمة الأوسي. ثم د. محمد صالح البنداق. ص١٥٥.

بنفْسي مِن مراشفةِ مُدامُ ومن لحظاتِ مقلتِه سهامُ[1]

ومثلما نالت الصفاتُ الخَلْقيّةُ الماديةُ للمرأة إستحسانَ الشعراء نالت الصفاتُ الخُلُقية المعنويةُ إعجابَهم واستحسانَهم، التي كثيراً ما تحلتْ بها المرأة. فجاء وصفهم منبعثاً من ذلك المنطلق الروحي واضحاً فيهن ملائماً لهن، فالشاعر المصحفي المتوفي (٣٧٢هـ) يُعجبُ بأخلاقِ المرأةِ العاليةِ ويُفْديها بنفسهِ وأهلهِ قائلاً[2]: [الطويل]

بنفسي وأهلي طالعٌ خُلتُ أنّهُ بأخلاقِ مَعْشُوقِ العُلى يَتَخَلَّقُ
يَبُثُّكَ أنفاسَ الحبيبِ وأنها لأذكى من المسكِ الذكيِّ وأعْبَقُ

ومثلهُ قولُهُ يذكرُ الأخلاقَ الرقيقةَ في الحبيبةِ[3]:[الطويل]

سرى الحبُّ في أخلاقِه فأرقها وعلَّمهُ أحكامهُ فتعلّما

ويبدو أنَّ المرأةَ هي الأخرى فَضَّلَتْ في الرجلِ الأخلاقِ الفاضلةِ و الخِصالِ الحميدةِ وحُسنِ السيرة والسلوكَ، هذا ما اتضح في بيت الغَزال[4]:[الكامل]

فَلَديَّ ما تَهوَيْنَ من شَأنِ الصِّبا وطُلاوة الأخلاقِ والأداب

واتصفت المرأةُ بالخَفَر والحياء ومنه قول ابن هانيء[5]:[الطويل]

يُستَّرْنَ من فَرطِ الحياءِ معاصماً بأكمامهنَ الخُضرِ عمَّنْ يراقبُ

---

(١) ديوان ابن عبد ربه: ت ٢٥٠هـ

(٢) التشبيهات: ص١٤٢ – قطعة ٢٨٤، وانظر البديع في وصف الربيع ص٨٧. ما تبقى من شعر المصحفي، مستلة من مجلة آداب المستنصرية ص١٩١ قطعة ٣٢.

(٣) ما تبقى من شعر المصحفي : ص١٩٥، قطعة ٤٣.

(٤) شعر يحيى بن الحكم الغزال : ص١٨٠.

(٥) ديوان ابن هانئ: ص٧٠٧.

وكثيراً ما شبهت المرأة الحبيبة الشريفة بالدّرة الثمينة،يقول ابن عبد ربه[1] :[الطويل]

يا دُميةً نُصبتَ لمعتكَف بل ظبيةً أوفتْ على شَرفِ
بل دُرَّةً زهَراءَ ما سَكَنَتْ بَحراً ولا اكتنَفَتْ ذُرى صَدَفِ

وفي حالةِ خَجلها يصطبغُ وجههَا باللّونِ الأحمر حَياءً[2]:[الطويل]

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعتُ بمثلِهِ دُراً يَعوُدُ من الحياءِ عقيقاً

ومثْلهُ قول ابنعبد ربه[3]:[الطويل]

إذا جئتها صدَّت حياءً بِوجهِها فَتْهجرني هَجْراً ألذَّ من الوصْلِ

ومن الخصالِ الجميلةِ التي تحلتْ بها المرأةَ الأربحيّةَ، وقد جمعت بين صفاتِ الشباب في حَركاتِها وسَكناتِها، في كونها هشّة بشّة وبين العقل والحلم والوقار من ذلك قول ابن هانئ[4]:[الكامل]

من أريحيات كريعان الصبا حركاتُها وعلى النُّهى إسكانُها

ومنهن من اتصفت بالغنج والدلال[5]: [المقتضب]

يا مليحةَ الدعجِ هل لديك من فَرَجِ
أمْ تراكِ قاتلتي بالدَّلالِ والفنَجِ

ومثله قول ابن هانئ [6]: [المنسرح]

---

(1) ديوان ابن عبد ربه: ص١١٢.
(2) ديوان أبن عبد ربه : ص ١٠٢. مختاراتمن الشعر الأندلسي : ص١٨ – ١٩.
(3) ديوان ابن عبد ربه: ص١٣٢ – ١٣٣.
(4) ديوان ابن هانئ : ص٧٦٨.
(5) ديوان ابن عبد ربه : ص٤٢.
(6) ديوان ابن هانئ : ٨١٣.

تُصبي بِدَلّ ومنطقٍ غَنجِ وطرف ريمٍ مُنَعّمٍ أعيْد

لقد نعمت الأندلسية بالمنطق الجميل والكلام الرخيم وكثيراً ما شبه الشعراء ألفاضها بالبرود الموشات وبالعروس. كقول عبيد الله بن يحيى* المتوفى (٣٥٢هـ): [الوافر]

إذا ما أُبرزت للسمع تحكي عروساً أبرزت في يوم عيد[١]
معانٍ سُمّيت بالخَودِ حُسناً وألفاظٌ تشبّهُ بالبرودِ

ومثلما تمتعت بالمنطق الرخيم تمتعت بجمال الصوت وحلاوته[٢]: [الخفيف]

رجعُ صوتٍ كأنه نظمُ دُرٍّ ما يرى ملكه سوى الآذان
تتفتُ السحرَ بالبيانِ من القو لِ ولا سحَر مثلُ سِحر البيان

يقول ابن عبد ربه في فتنةِ الألفاظ وسحرها[٣] : [السريع]

يا ساحراً طرفُهُ إذْ يَلْحظُ وفاتناً لفظهُ إذ يَلْفَظُ

وللابتسامةِ حلاوةٌ وسحْر خاص يقول سليمان المستعين فيها[٤]:[الطويل]

---

(١) انظر التشبيهات : ص١١٣ قطعة ٢١٥.

* عبيد الله بن يحيى بن إدريس الوزير أبو عثمان من أهل قرطبة، كان شاعراً متقناً في ضروب العلم. أنظر تخريات التشبيهات: ص١١٣.

(٢) ديوان ابن عبد ربه : ص١٧١.

(٣) الديوان : ص١٠٢.

(٤) الذخيرة : م١ ق١ ص٥٧.

سليمان المستعين: سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمنالناصربوبيع بقرطبة سنة أربعمائة. لنتين وعشرة أشهر. لكنه كان له في الأدبغاية كبا دونها أهل الآداب ورفعت له في اشعر راية. لم يذكر له ابن بسام غلا القصيدة التيعارض فيها هارون الرشيدز انظر أعمال ك ص١٢١ -١٢٢.

تَبَسَمَ عن دُرٍّ تَنضَّدَ في الورس واسفرَ عن وجهٍ يَتيهُ على الشمسِ
غزالٌ براهُ اللهُ من نورِ عَرشِـهِ لتقطيعِ أنفاسٍ وليسَ مـن الأنـسِ

وربما نُعتَت القينةُ بقلةِ العقلِ وخفتهِ. يقول الغَزال في قينة تـدعي تفتيـراً[1]: [السريع]

وقينـةٍ تـدعى بتفتيـرِ مُفرغةٍ في قالـبِ الـزورِ
تُباً لهَا من قَينةٍ عقلُهـا أخفُّ من ريشِ العصافيرِ

وقولُه في هجاءِ إمراةٍ جَمعَتْ بين قُبحِ الخِلْقَةِ وسوءِ الأخلاق[2]:[البسيط]

جرداءُ صلعاءُ لم يُبقِ الزمانُ لهـا إلاّ لسـاناً ملحَّـا بالملامـات
لطمتُها لطمةً طـارت عمامتُهـا عن صلعةٍ ليس فيها خمسُ شعرات
وكاهـلٌ كسَنامِ العِيسِ جَـرَدَّهُ طولُ السفارِ وإلحـاحُ القَتُـودات[3]

وربما نَبَذَ الشعراءُ صورةَ الفتاةِ الغلاميّة كما نبذها ابن عبـد ربـه قـائلاً[4]: [الخفيف]

غيـر أنـي لااطيـقُ إصـطباراً وارانـي صـابراً لا نتكـاثي
بإنـاثٍ فـي صِـفاتِ ذُكـورٍ وذُكـورٍ فـي صِـفاتِ إنـاثِ

وكثيراً ما كُنّى الشاعرَ باسم صاحبتِه، ربما لوقارها واحتشامها أو خوفاً من الواشي والرقيب كقول ابن عبد ربه[5] :[المتقارب]

أَغُضُّ الجفونَ إذا ما بَدتْ وأُكني إذاقيلَ لي سمِّها

---

(1) التشبيهـات : ص٢٤٦ قطعة ٥٥٧.
(2) التشبيهات: ص٢٤٥ -قطعة ٥٥٦ .. شعر الغزال : ص١٨٥.
(3) الفتـودات : جمع القتدأي (خشب الرحل).
(4) الديوان : ص٣٤.
(5) الديوان :ص١٦٣.

وقوله[1] : [الخفيف]

إن قلبي يحبُّ من لا أُسمّي في عَناءٍ أعظِمْ به من عناءِ

ويبدو أن الفتاة الأندلسية قد تحلّت بالقيم والمثل والمبادئ مما جعلها تفضل الشاب الفقيروتُؤثرُهُ علىالعجوز الثَريِّ إذا رغبت في بعلاً. قال الغَزالُ[2]:[الوافر]

وخيّرها أبوها بين شيخٍ كثيرِ المالِ أو حدثٍ فقيرِ
فقالت خطُتا خَسفٍ وما إنْ أرى من حظوةٍ للمستخير
ولكن إنْ عزمْت فكلُ شيءٍ أحبُّ إلّيَ من وجهِ الكبير
لأن المرءَ بعدَ الفقرِ يُثري وهذا لا يَعَودُ إلى صغيرِ

أمّا المغنيات ، فقدهُجينَ بقبحِ الصوتِ، يقول إسماعيل* بن بدرالمتوفى (٣٥١هـ) [3] :[الطويل]

فأسمعنا درداءَ صلعاء رجَّعَت بصوتٍ لها تستكُ منه المسامعُ
فواللهِ ما أدري كلابُ تهارشتْ بحلقومِها أم نَقَنقتْ بيَ ضفادعُ

بدت المرأة الأندلسية أنيقة وقد لَبستْ من الحلي والحلل وعرفت الرداء والملاءة والشفوف المنسوجة بالذهب الخالص[4]: يقول ابن هاني: [الطويل]

---

(1) مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٩.
(2) انظرفصول في الأدب الأندلسي: ص٢٢٢قطعة – ٢٦ . شعر الغزال: ص٢٠٩.
* إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد أبو بكر القرطبي: مولى لبني أمية. ولاه الناصركتابته الخاصة سنة ٣٠٠ ثم ولاه أشبيلية، عاش حتى أوائل الحكم المستنصر، غلبت عليه صناعة الشعر وكان مكثراً . أنظر التشبيهات: ص٢٨٥.
(3) التشبيهات : ص٢٤٥ قطعة ٥٥٥.
(4) ديوان ابن هانئ : ص٢٣٧ . الشفوف: جمع شف بالفتح وبكسر، وهو الثوب الرقيق. وشف الثوب عن المرأة شفوفاً، رق وأبدي ما وراءه من
العبقري : ضرب من البسط تأخذ منه اصباغ ونقوش . وعبقر موضع كثيرالجن.

لها من شفوفِ العبقريّ ملابسُ مُفوّقةٌ فيها النضارُ جسيدُ[1]

ومثلما لبست الشفوف لبست القرطق وهو ضرب من الملابس القصيرة : [المنسرح]

بيضاءُمضمومة مقرطقةٌ تتقدُ عن نهدِها قراطقُها

وليست العَصائبَ المرصعةَ بالجواهِر المنسوجةَ من الذَهَبِ المُكَلَلَةِ بالمرجَان، ومنه قول ابن هانئ[2]: [الكامل]

وكَواعبٍ محفُوفةٍ بعَصائبٍ قد كُلّلتْ بالدُّرّ والمَرجانِ

وتزينت بالتيجان الثمينة[3]:[الكامل]

مُستَشرفاتٍ من خدورِ أوانسٍ مصفوفةٍ قد فُصّلتْ تِيجانُها

وربما نُقشت خَدها بنقوشٍ لتَظهرَأكثَر فتنةً وبدت آثارُ النقوشِ في قول ابن هانئ[4]:[الطويل]

وفي البيت حرف مُعْجَمٍ قَدْ قرأتُهُ على خدِها لو أنَّني منْهُ سالمُ

لقد عرفت المرأة التي عاشت في الفترة التي سبقت عصر ملوك الطوائف الوشمِ. والخضاب ولبسِت الدملج. وإلى ذلك أشار ابن عبد ربه قائلاً: [الطويل]

ونُؤْيٍ كدملوج الكعاب ودِمنَةٍ تَذْكُرُ من وَشمِ الخِضابِ رسومُها

فقد كان للنساءِ اثر كبير في الأدَبْ سواء أكان من ناحيةِ الفتنةِ والجمال. أو الأدبيات اللائي شاركنَ في النهضة الأدبيةِ بما أنتَجنَ من أدبٍ.

---

(1) ديوان ابن عبد ربه : ص١٢٣.
(2) ديوان ابن هانئ : ص٧٥٥.
(3) ديوان ابن هانئ: ص٧٦٢. مستشرفات : استشرف الرجل : انتصب
(4) نفسه : ص٧٢١. التشبيهات : ١٦١، قطعة ٣٤٥.